فيها فامروا ان يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله لما ارسل
موسى وهارون واظهرهما على فرعون امرهما باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل الله
لهم بصونهم من شرهم وهو قوله **وبشر** يا موسى **المؤمنين** بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى
وبانه لا يصل اليهم مكروه من الاعداء وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه
رئيس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما يفعله كل احد لان ذلك
كان واجبا على الجمهور ثم وحد لان بشارة الامة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين
موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير **وقال موسى ربنا انك آتيت**
فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة الدنيا ولما كان سبب كفرهم وعنادهم واصرارهم على
الكفر هو حب الدنيا وزينتها لا جرم ان موسى لما اخذ في الدعاء قدم هذه المقدمة فقال ربنا انك
اعطيت فرعون واشراف قومه ما يتزين به من اللباس والمراكب والغلمان والاشياء الجميلة والاموال
النفيسة قيل كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة و
الياقوت والزبرجد فطغوا بها وضلوا ولذلك قال في الحياة الدنيا **ربنا** اي يا ربنا اعطيتهم ذلك
ليضلوا في عاقبته **عن سبيلك** اي عن دينك اختلفوا في هذه اللام فقال الفراء هي لام كي فعلى
هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سببا لضلالتهم لانهم بطروا وطغوا في الارض واستكبروا
عن الايمان وقال الاخفش انما هي لما يؤول اليه الامر والمعنى انك اتيت فرعون وملأه زينة فضلوا فعلى
هذا هي لام العاقبة يعني فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانباري هي لام الدعاء وهي لام مكسورة
تجزم المستقبل ويفتتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك قرأ عاصم وحمزة
والكسائي بضم الياء اي ليصرفوا الناس عن دينك والباقون بفتحها من الضلال اي ليمتنعوا عن دينك
ربنا اطمس على اموالهم اي ازل صورها وهيئاتها وقال مجاهد اهلكها وقال اكثر المفسرين
امسخها وغيرها عن هيئاتها وامحقها قال قتادة بلغنا ان اموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم
صارت حجارة وقال السدي مسخ الله اموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق وهذا الطمس هو احدى الايات
التسع التي اوتيها موسى **واشدد على قلوبهم** اي اطبع عليها واستوثق واقسها حتى لا تلين
ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال
الواحدي وهذا دليل على ان الله تعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما حسن موسى على هذا السؤال
فلا يؤمنوا في محل النصب على انه جواب للدعاء او في محل الجزم على انه دعاء في النهي او في محل
النصب على انه معطوف على قوله ليضلوا فيكون ما بينهما دعاء معترضا **حتى يروا العذاب**
الأليم اي حتى يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك قال ابن عباس اراد بعذاب الاليم
الغرق وقال في رواية اخرى عن ابن عباس قال موسى قبل ان ياتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له فحال بين فرعون وبين الايمان حتى ادركه الغرق
فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء انما دعى موسى عليهم بهذا الدعاء لما علم موسى ان سابق قضاء
الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله كتب عليهم في الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى

ما قدر وقضى عليهم قال الله تعالى لموسى وهارون قد اجيبت دعوتكما انما نسب الدعاء اليهما
وان كان الداعي هو موسى وحده لان هارون عليه السلام كان يؤمن والتامين دعاء لانه طلب
وسؤال ايضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعاء فلذلك قال **قد اجيبت** قال بعضهم
لما راى موسى انهم لا يزيدون على عرض الايات والمواعظ في الازمنة الطويلة الا كفرا وعلى التحذير
بعذاب الله وانتقامه الا طغيانا وتمردا واصرارا على ما هم عليه وعلى الانذار الا استكبارا وعلى
النصائح الا بعدا ولم يبق له عليه السلام مطمع فيهم وعلم بالهام الله انهم لا يؤمنون ابدا وان ايمانهم
كالمحال فاشتد غضبه لله فدعا عليهم فمسخت اموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى ادركه الغرق
وكان ايمانه ايمان باس فلم يقبل وفي المدارك وانما دعا عليهم بهذا الدعاء لما ايس من ايمانهم وعلم بالوحي
انهم لا يؤمنون فاما قبل ان يعلم بانهم لا يؤمنون فلا يسع له ان يدعو بهذا الدعاء لانه انما ارسل اليهم
ليدعوهم الى الايمان وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا انتهى وقال الشيخ ودعاء
موسى كدعاء نوح حيث اخبره الله انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فقال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا وذكر ابن حجر في كتاب الاعلام بقواطع الاسلام ما نصه وقد تمنى موسى صلى الله عليه وسلم ان لا يؤمن
فرعون وزاد على التمني فدعى الله بذلك بقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا
العذاب الاليم فلم يضره ذلك ولا عاتبه الله عليه ولا زجره عنه انتهى قوله تعالى **فاستقيما** اي فاثبتا على
ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم
بعد الدعاء اربعين سنة قلت وانما اخر المطلوب الى اربعين سنة ليزدادوا ظلما فيزدادوا عذابا قال
الشيخ معناه اثبتا على تبليغ الرسالة وامضيا لامري الى ان ياتيهم العذاب **ولا تتبعان** قرا العامة
بتشديد التاء والنون وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة مع تشديد
التاء وبكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية فلا للنهي والنون للتاكيد ولا تتبعان بتخفيف
التاء والنون من تبع ولا تتبعان ايضا بتخفيف التاء وتشديد النون **سبيل الذين لا يعلمون** المعنى
لا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي وصدق اجابتي فان وعدي بقبول دعوتكما لا خلف
فيه ووعدي نازل بفرعون وقومه فلا تستعجلا في اجابة الدعاء فان الامور مرهونة باوقاتها
فلا تسالن ما ليس لك به علم ولما سال نوح عليه السلام عن حال كنعان قال الله فلا تسالن ما ليس لك به
علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال الامام فخر الدين ان هذا النهي لا يدل على ان ذلك قد صدر من
موسى وهارون كما ان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه قوله تعالى **وجاوزنا**
ببني اسرائيل البحر اي وقطعنا ببني اسرائيل البحر وعبرناهم وجعلناهم مجاوزين بان جعلناه يبسا و
حفظناهم حتى جاوزوه وعبروه والبحر هو بحر قلزم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل
كضعف وضاعف وفي الغاية وجاوزنا ببني اسرائيل البحر الى البر جزت المكان وجاوزته اذا خلفته
وفي الاية دليل على خلق الافعال **فاتبعهم فرعون وجنوده** يعني لحقهم وادركهم يقال تبعته اي
مشيت خلفه حتى اتبعته اي لحقته **بغيا وعدوا** وفي اللباب معناه اي ظلما وعدوانا وقيل
البغي طلب الاستعلاء بغير حق والعدو الظلم وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل وقال البيضاوي

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)